الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الموسم الجامعي:2023/2022

قسم العلوم الإنسانية المستوى: أولى جذع مشترك علوم إنسانية

المقياس: مدخل إلى الفلسفة الأستاذ: عبد الله زين (أ/ محاضر.ب)

المحاضرة 05: الفلسفة مباحثها وقضاياها / القيمة (الأكسيولولوجيا)

أولا: معنى الأكسيولوجيا

***تمهيد:**

سبق وأن تطرقنا في محاضرة سابقة إلى مجال الفلسفة أو موضوعها، وأوضحنا أنه يشمل ثلاثة مباحث، منها: مبحث القيم أو الأكسيولوجيا، فما المقصود بهذا المصطلح ؟ وماذا تتناول الأكسيولوجيا ؟

الأكسيولوجيا (Axiologie) لفظ مركب يتكون من قسمين: أكسيوس؛ وتعني قيم، ولوجي؛ وتعني علم أو نظرية، وعليه يعني مصطلح أكسيولوجيا علم القيم أو نظرية القيم، وهي مبحث في الفلسفة العامة يتناول القيم من جوانب: طبيعتها وأصنافها ومعاييرها، يرتبط هذا المبحث بعلوم معيارية ثلاثة هي: علم المنطق الذي يبحث قيمة الحق، وعلم الأخلاق الذي يبحث قيمة الخير، وعلم الجمال الذي يبحث قيمة الجمال .

مبحث القيم قديم بدأ مع بدايات الفلسفة اليونانية، خصوصا عند (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، وفي العصور الوسطى إسلامية ومسيحية، وحديثا عرض " إيمانويل كانط " لموضوع القيم في علاقته بالمعرفة، وفي القرن العشرين كان " بول لابي " P.Lapie، هو أول من استخدم لفظ أكسيولوجيا في كتابه: Zogique de la Volonté .

ومن المسائل التي تناولتها الأكسيولوجيا، طبيعة القيم من حيث أن لها وجودا مستقلا، أم أنها صفات عينية للأشياء، أهي نسبية أم مطلقة ؟ ثم مسألة علاقة القيم إحداها بالأخرى، ثم مسألة مصدر هذه القيم.. هل هي من أصل اجتماعي.. أم أنها ذات أصول لاهوتية ؟ وغير ذلك من مسائل .

ثانيا: أصناف القيمة (الحق - الخير - الجمال)

قبل الحديث عن أصناف القيمة، يجدر بنا تحديد معنى القيمة،(Axios)، والتي تدل على معنى " ما هو ثمين " أو " جدير بالثقة " . والقيمة اصطلاحا، هي لفظ يطلق على ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته لاعتبارات اقتصادية أو سيكولوجية أو اجتماعية أو اخلاقية أو جمالية .

وتعرّف القيمة من الناحية الموضوعية، بأنها ما يتميّز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال، كانت قيمته مطلقة، وإن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين، كالوثائق التاريخية بالنسبة للمؤرخ مثلا، كانت قيمته إضافية (نسبية) .

يتضح مما سبق أن القيم نوعين: قيم تطلب لذاتها، كالحق والخير والجمال، وقيم تطلب لغاية ما، كالأشياء التي نستعملها لتحقيق سعادتنا، مثل النقود والسيارة وغيرها . لكن ما يهمنا في هذا السياق قيم: الحق والخير والجمال، فما ذا تعني كل واحدة منها ؟ وما هي العلوم التي تدرسها ؟

1-قيمة الحق: Vrai-Droit

الحق في اللغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، واليقين بعد الشك، والواجب، والعدل، والأمر المقضي، والمال، والملك، وصدق الحديث . وهو من أسماء الله تعالى أو صفاته . والفرق بين الحق والصدق، أن الحق مطابقة الواقع للحكم، على حين أن الصدق هو مطابقة الحكم للواقع، ونقيض الحق الباطل، كما أن نقيض الصدق الكذب .

ويطلق الحق (Vrai)، في الفلسفة الحديثة على المعاني الآتية:

الأول هو مطابقة القول للواقع، تقول: هذا قول حق، وهذا حكم حق، وضده الباطل والكاذب والمتناقض . وقريب من هذا المعنى قول ديكارت: « أن لا أتلقى على الإطلاق شيئا على أنه حق، ما لم أتبين بالبداهة أنه كذلك » .

والثاني هو الموجود حقيقة لا الموجود توهما، مثال ذلك قول ديكارت: « وكنت إلى ذلك شديد الرغبة في أن أتعلم كيف أميز الحق من الباطل، لأكون على بصيرة من أعمالي، وأسير على أمن في حياتي » .

الحق إذن هو قيمة تتناولها الفلسفة من خلال الأكسيولوجيا، لكن العلم الذي يبحثها هو علم المنطق، وتشير هذه الكلمة من ناحية الاشتقاق اللغوي إلى الكلام أو النطق، كما تشير من ناحية أخرى- إذا ابتعدنا عن الأصل اللغوي واقتربنا من الكلمة اليونانية Logos - إلى العقل أو الفكر أو البرهان . أما المعنى الاصطلاحي لكلمة المنطق، هو أنه علم الفكر، أو العلم الذي يهدف إلى الكشف عن المبادئ العقلية، التي يقوم عليها تفكيرنا .

والمنطق هو العلم الذي يبحث في صحيح الفكر وفاسده، وهو الذي يضع القوانين التي تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ في الأحكام، فموضوعه هو الفكر الإنساني من ناحية خاصة، هي ناحية صحته وفساده، ويتم ذلك عن طريق البحث في القوانين العقلية العامة التي يتبعها العقل الإنساني في تفكيره، فما كان من التفكير موافقا لهذه القوانين كان صحيحا، وما كان مخالفا لها كان فاسدا .

2-قيمة الخير: Bien

الخير اسم تفضيل كقولنا: الحياة خير من الموت، وهو يدل على الحسن لذاته، وعلى ما فيه من نفع أو لذة أو سعادة . وهو بالجملة ضد الشر، لأن الخير هو وجدان كل شيء كمالاته اللائقة، أما الشر فهو ما به فقدان ذلك .

أما العلم المعياري الذي يبحث قيمة الخير، فهو علم الأخلاق، والذي يعرّف بأنه:« العلم الذي يبحث في السلوك الإنساني، استنادا إلى معياري الخير والشر » . تجدر الإشارة إلى أن علم الأخلاق لا يبحث ما هو كائن من السلوك، بل ما يجب أن يكون عليه السلوك الإنساني؛ بمعنى أن هذا العلم يؤسس للخير والشر، ويضع أساس الأخلاق . كما نشير إلى أن فلاسفة الأخلاق تناولوا القيمة الأخلاقية واختلفوا حول طبيعتها (المطلقية، النسبية)، كما تباينت مواقفهم حول أسسها (العقل، المنفعة، المجتمع، الدين...الخ) .

3-قيمة الجمال: Beauté

الجمال عند الفلاسفة صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورا ورضى، والجمال أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم (الجمال، الحق، والخير) . والجمال مرادف للحسن، يقول " كانط ":« الجمال هو ما يبعث في النفس الرضى، دون تصور، أي ما يحدث في النفس عاطفة خاصة تسمى بعاطفة الجمال » .

أما العلم المعياري الذي يبحث قيمة الجمال، فهو علم الجمال (Esthétique)، وهو علم يبحث في شروط الجمال، ومقاييسه ونظرياته، وفي الذوق الفني، وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنية، وهو باب من الفلسفة وأحد علم الأكسيولوجيا . وله قسمان: قسم نظري عام، وقسم عملي خاص .

الشعور بالجمال قديم قدم البشرية، وجد مع الإنسان.. مع أول إنسان، ثم وجد في المجتمع البدائي مقترنا بالسحر.. ووجد بين جدران المعابد.. ووسط بنيان الكنائس . لكن الجمال كفلسفة لم يظهر إلا عند اليونان؛ فقلد كان " أفلاطون " يرى أن للجمال مثالا في علم المثل، ترجع إليه جميع الجمالات الجزئية المحسوسة الموجودة في عالمنا هذا.. عالم الأشباح، وكان " أرسطو " –

الذي كتب كتابا في الشعر- يرى أن الجمال في عالمنا الحسي هذا وليس في العالم المثالي الفوقي الذي لا نعرف عنه شيئا .

لم يظهر علم الجمال في صورة العلم المتكامل المستقل، إلا عندما نشر " الكسندر بومجارتن " (1714-1762 م) كتابه " فلسفة الجمال " في مجلدين .

أما المسائل التي تثيرها فلسفة الجمال، فيمكن إيجازها فيما يلي:

أ-طبيعة الجمال:

تباينت مواقف الفلاسفة حول طبيعة الجمال، فبينما رأت إحدى المدارس أن للجمال صفات وخصائص موضوعية، مستقلة عن الأفراد الذين يدركونها، ذهبت مدارس أخرى إلى إنكار موضوعية الأشياء والصفات الجمالية، ورأت أن الجمال وصفاته أمور ذاتية بحتة .

وحقيقة الأمر أن الجمال مزيج وتآلف بين الذاتية والموضوعية، فالجمال يوجد وجودا موضوعيا في أشياء ذات طبيعة واقعية، لكننا نحن كذوات نتذوقه ونضفي على موضوعيته عناصر من خيالاتنا وأفكارنا وميولنا الذاتية البحتة .

ب-الحكم الجمالي:

اختلف الفلاسفة والمفكرون حول مسألة الأحكام الجمالية، وانقسموا إلى مدرستين: مدرسة العقليين التي ترى أن تذوق الجمال يرجع إلى حكم العقل وقواعد الفكر، والمدرسة الرومانتيكية التي ترجع الحكم الجمالي إلى العنصر العاطفي أو الوجداني، وهكذا يكون الحكم الجمالي في نظر المدرسة العقلية عقلي محض، بينما يكون في نظر المدرسة الرومانتيكية عاطفي خالص .

والواقع أن الحكم الجمالي، لا يمكن أن يكون عقليا خالصا، ولا وجدانيا صرفا، إنما هو تركيب ومزيج بين العقل والوجدان .

ج-مناهج الجمال:

ظهر اختلاف بين المفكرين والفلاسفة حول مسألة مناهج الجمال، حيث انقسموا إلى اتجاهين: اتجاه رفض أن يتقيد الجمال بمنهج محدد يقيده، نظرا لطبيعته الذاتية والوجدانية والحدسية، واتجاه مغاير ذهب إلى أن الجمال، لكي يكون علما دقيقا يجب أن يخضع لمنهج أو عدد من المناهج يمكن حصرها فيما يلي: المنهج التجريبي، المنهج التحليلي، المنهج التركيبي، المنهج المعياري، المنهج الوصفي، المنهج النقدي، المنهج التكاملي .

ثالثا: علاقة القيم ببعضها البعض

رغم اختلاف قيم الحق والخير والجمال عن بعضها، إلا أنها تشترك في صفة المعيارية، كما أنها متداخلة في حياة الإنسان؛ بحيث أنها تمثل أوجها مختلفة لكائن واحد هو الإنسان، فكل واحدة منها تعبّر عن جانب معين فيه؛ فقيمة الحق تعبّر عن العقل أو الفكر، وقيمة الخير تعبّر عما يجب أن يكون عليه السلوك الإنساني، وقيمة الجمال تعبّر عن الذوق الفني والجمالي عند الإنسان، وهكذا فالعلاقة تكاملية فيما بينها .

أنظر: علي عبد المعطي محمد، مقدمات في الفلسفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص: 27-149 .